ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 11, No. 1 || January -June 2026|| P. 69-82
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2026ء)

قسوة نظام البائنة في قصة "الدَّيْن والمستحقّ" لطاغور: تحليل نقدي لنهاية نروباما

THE HARSHNESS OF THE DOWRY SYSTEM IN TAGORE'S "DEBT AND DUE": A CRITICAL ANALYSIS OF NIRUPAMA'S END

سليم أختر*

ABSTRACT:

The short story "Debt and Due" by Rabindranath Tagore is considered one of the most prominent realist texts that boldly exposed the cruelty of traditional Bengali society, particularly the dowry system, which transformed marriage from a human bond into a commercial transaction in which a woman's value is measured by the amount of money she brings with her. The story revolves around the tragedy of Niropama, a young woman crushed under the pressure of oppressive social customs, while her father stands helplessly torn between paternal love and obligations beyond his means. This study examines the historical and social foundations of the dowry system in Bengal, showing how it was reinforced by religious texts and class-based traditions, and highlights its destructive impact on the lives of women and poor families. The critical analysis also explores the moral and class dimensions of the story, demonstrating how dowry turns the marital home into a system of oppression, with the mother-in-law, the father, the husband, and other characters appearing as interlinked agents in the making of this tragedy. The study further emphasizes Tagore's mastery in shaping a sharp moral realism built on the accumulation of everyday details, leading to a shocking ending that reveals the problem to be not a matter of individual wrongdoing but a deeply rooted social structure. The reading concludes that Niropama was not an isolated victim, but a representative figure for thousands of girls crushed by oppressive customs, and that the story

* باحث الدكتوراه، الجامعة الملية الإسلامية، دلي ، الهن

stands as a human document of protest against a system whose effects continue to persist in contemporary societies.

KEYWORDS: *Tagore, Marriage and Dowry, Social Cruelty, Niropama, Psychological Breakdown, Female Silence.*

الكلمات المفتاحية: تاغور، الزواج والمهر، القسوة الاجتماعية، نيروباما، الانهيار النفسي، صمت الأنثى.

ملخّص البحث

تُعدّ قصة "الدَّيْن والمستحق" [1] لرابندرانات طاغور واحدة من أبرز النصوص الواقعية التي فضحت بجرأةٍ قسوة المجتمع البنغالي التقليدي، ولا سيما نظام البائنة الذي حوّل الزواج من رابطة إنسانية إلى صفقة تجارية تُقاس فيها قيمة المرأة بقدْر ما تحمل معها من مال. تقوم القصة على مأساة نيروبما، الفتاة التي تتحطم تحت وطأة الأعراف الاجتماعية الضاغطة، ويقف والدُها عاجزًا بين حبّه الأبوي والتزاماتٍ تفوق قدرته.

يستعرض البحث الأسس التاريخية والاجتماعية لنظام البائنة[2] في البنغال، وكيف رسّخته النصوص الدينية والعادات الطبقية، ثم يوضح أثره التدميري في حياة النساء والأسر الفقيرة. كما يتناول التحليل النقدي أبعاد القصة الأخلاقية والطبقية، ويبيّن كيف تُحوّل البائنة البيت الزوجي إلى منظومة قمع، وتظهر الحماة والأب والزوج وشخصيات أخرى كعوامل متشابكة في صنع هذه المأساة. وتبرز الدراسة براعة طاغور في صياغة واقعية أخلاقية حادّة، تقوم على تراكم التفاصيل اليومية، وتفضي إلى نهاية صادمة تكشف أن المشكلة ليست مسألة أفراد، بل بنية اجتماعية متجذرة. وتخلص القراءة إلى أن نروباما لم تكن ضحيةً وحيدة، بل

[1] اسم القصة في اللغة البنغالية "ديناباونا". بعض المترجمين ترجموها إلى الإنجليزية بعنوان "Debit and Credit" و"The Matrimonial Deal" و"The Dowry Death" وما إلى ذلك.

[2] هو نظام اجتماعي تقليدي يرتبط بالزواج، يُلزِم أسرةَ العروس بتقديم مالٍ أو ممتلكاتٍ أو هدايا إلى أسرة العريس، ويُعامَل فيه الزواج بوصفه التزامًا ماليًا لا رابطة إنسانية. يقال بالإنجليزية "Dowry System".

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 11, No. 1 || January -June 2026|| P. 69-82
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2026ء)

نموذجًا لآلاف الفتيات اللواتي سحقتهن العادات، وأن القصة وثيقة احتجاج إنساني ضد نظامٍ ما زالت آثاره حاضرة في المجتمعات المعاصرة.

الكلمات الرئيسة: طاغور، الزواج والبائنة، قسوة اجتماعية، نروباما، الانهيار النفسي، الصمت الأنثوي.

المقدمة:

قصة "الدين والمستحقّ" لرابندرانات طاغور تُعدّ من أبلغ القصص الواقعية التي تكشف قسوة النظام الاجتماعي القائم على البائنة في المجتمع البنغالي التقليدي. تنهض قصة **"دِيناباؤنا"** على إدانةٍ صريحة لمشكلة اجتماعية متجذّرة هي نظام البائنة وما يخلّفه من قهرٍ وتمييزٍ ضد المرأة. ويجسّد النص هذا القهر في صورة المصير التراجيدي لفتاةٍ يطحنها ضغطُ هذا النظام حتى تنتهي إلى انهيار كامل.

وعلى الرغم من أنّ القصة تُفسح حيّزًا واسعًا لمعاناة الأب وتمزّق قلبه بين واجبه الاجتماعي وقدرته المادية، فإنّ البعد الأساسي الذي يوجّه دلالة النص ويُشكّل مركزه البنائي هو النهاية المأساوية لنروباما. فحضور الأب يظلّ خلفية إنسانية مؤثرة، لكنّ بؤرة السرد الحقيقية تتمحور حول تفكّك حياة الابنة واقترابها المستمر من حتفها تحت وطأة مجتمعٍ يشرعن الظلم باسم التقاليد.

السياق التاريخي والاجتماعي لنظام البائنة

وقد قدّم في قصته "الدَّيْن والمُستحقّ" صورة حيّة للمجتمع البنغالي، تكشف بوضوح جوانبه الاجتماعية وواقعه اليومي. بدأ في العصور الوسطى في بنغلادش في عهد الملك بَلّال سِن [3] نظام الكولينية [4] الذي خلّف لاحقًا آثارًا خطيرة في مختلف مناحي

[3] هو أحد ملوك سلالة سِن الهندوسية التي حكمت إقليم البنغال في القرن الثاني عشر الميلادي، ويُعدّ من أبرز الحكّام الذين تركوا أثرًا عميقًا في البنية الاجتماعية والدينية للمجتمع البنغالي. عُرف بتشدّده في تنظيم المجتمع على أساس طبقي صارم، وترسيخ نظام الكولينية (Kulinism).

[4] نظام الكولينية (Kulinism) هو نظام اجتماعي تقليدي في بنغلاديش والبنغال، نشأ في العصور الوسطى خلال عهد الملك بالال سن (Ballal Sen) في القرن الثاني عشر، حيث صنّف البراهمة

الحياة الاجتماعية. فأصبح تقديم بائنة إلزاميا مع إعطاء الفتاة لأسرة العريس، وزاد من ترسيخ هذه العادة دعمُ النصوص الدينية مثل قاعدة "سالنكارا كنيادان" [5] التي أوجبت أن تُزَفّ الفتاة مُزدانة بالهدايا والمال. ومع انتشار التعليم الغربي في القرن التاسع عشر، ظهرت بين أبناء الطبقة المتعلّمة نزعة ميل إلى الثراء بأموال الآخرين، ورغبة في تنمية الثروة الذاتية، فكانت هذه النزعة بمثابة السمن الذي صُبَّ في نار البائنة، فازدادت العادة اشتعالا وجشعا [6].

وقد صوّر طاغور في قصة "الدَّيْن والمُستحقّ" هذه الصورة بكل قسوتها—صورة مجتمع يلهبه لهيب الطمع، وفي خضمّه تحترق حياة امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، لتصبح معاناتها شهادةً دامية على بشاعة هذا النظام.

تجسّد القصة عبر هذه المأساة النقد القاسي لـ "نظام البائنة" وتأثيراتها الاجتماعية اللاإنسانية، وتحكي معاناة الأب والحياة القاسية التي عاشت فيها نروباما بعد الزواج، مما يعكس انتقاد طاغور للتقاليد الاجتماعية المتحجرة التي تدمر كرامة الإنسان وتفقده حريته وسعادته.

هذا التناول التاريخي والاجتماعي يجعل من قصة "الدين والمستحق" قصة اجتماعية مهمة ترسم صورة حية لوضع النساء والأسر الفقيرة في مواجهة عادات اجتماعية معقدة وظالمة.

لقد صوّر رابِندرانات طاغور بجرأةٍ فنيةٍ عميقة فظاعةَ نظام البائنة، وما فيه من وقاحة اجتماعية ولاإنسانية، كاشفًا من خلاله عن النهايات المروّعة التي يجرّ إليها هذا النظامُ حياةَ الناس البسطاء في المجتمع.

إلى طبقات عليا "كولين" بناءً على نقاء النسب والطقوس. وأدى هذا النظام إلى تعزيز العادات الطبقية مثل إلزامية تقديم البائنة (dowry) في الزواج، حيث أصبحت الفتيات من طبقات أدنى يُطلب لهن مهر فاخر للزواج من "كولين".

[5] هي قاعدة دينية في التقاليد الهندوسية تشير إلى تزويج الابنة (كنيادان) بعد تزيينها وتقديمها مع الهدايا والمال والحُلي إلى بيت الزوج.

[6] Mishra, Dr. Ashok Kumar. **Rabindra Chhotogolper ruprekha**. (Kolkata: Dey's Publishing) 76.

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 11, No. 1 || January -June 2026|| P. 69-82
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2026ء)

ملخّص القصة

رامسُندر ميترا فلاح بسيط من أسرة متواضعة يعيش حياة كادحة مع أبنائه الخمسة، وقد أنعم الله عليه بابنة وحيدة سمّاها نروبَاما، محبّة قلبه ومدار فخره. حين بلغت سنّ الزواج، أراد أن يزوّجها برجل من أسرة مرموقة، فاختار لها ابن الراي بهادور الثريّ، آملاً أن تنعم بالسعادة في بيت الزوج. لكنّ الزواج كان مرهونًا بشَرْطٍ قاسٍ: عشرة آلاف روبية بائنة نقديًا مع أثاث وثياب فاخرة. ورغم فقره، وافق رامسندر على هذا الطلب طمعًا في سعادة ابنته.

في يوم الزفاف لم يتمكن الأب من تحصيل المبلغ المطلوب، فغضب الراي بهادور ورفض إتمام الزواج. غير أن العريس الشاب، المتعلم والمتفتح، خالف أباه وأصرّ على الزواج دون اكتراث بالمال. تمّ الزواج بشقّ الأنفُس، لكن نروبَاما سُرعان ما ذاقت الهوان في بيت زوجها. كانت تتلقى الإهانة يوميًا من حماتها وحتى من الخدم، وأصبحت حياتها هناك جحيمًا صامتًا، فيما كان أبوها عاجزًا عن نجدتها بعدما سقطت مكانته أمام أسرة زوجها.

حاول الأب لاحقًا جمع المال بأي وسيلة، حتى أنه فكّر في بيع بيته، لكنه تراجع أمام توسلات أبنائه. وبعد جهود مريرة جمع ثلاثة آلاف روبية فقط، لكنها لم تُقبل. بل سمع من رأي بهادر كلامًا قاسيًا: "إمّا أن يدفع كامل المبلغ وإمّا لا حديث"[7].

تدهورت حالة نِروباما النفسية والجسدية من شدة المذلة. وكان زوجها قد عُيّن نائب مأمور وسافر بعيدًا، ومنعت حماتها زيارة أهلها نهائيًا. وأخيرًا، حين علمت نِروباما أن والدها باع البيت سرًا ليسدد الإبانة، رفضت ذلك بشجاعة، وقالت له: "إن أعطيتهم المال فلن أراك أبدًا؛ لأن كرامتي ليست سلعة تُشترى"[8].

وعندما علمت الحماة أن نروباما أعادت والدها بمبلغه الذي أتى به. فزاد قسوة أهل زوجها عليها. وازدادت حالتها سوءًا حتى أصبحت عاجزة عن التنفس. استهانت حماتها بمرضها أولًا، ثم لما ساءت حالتها أحضروا الطبيب مرة واحدة فقط... وماتت نِروباما.

---

[7] Tagore, Rabindranath. Golpoguchho. (Kolkata: Visvabharati) 15

[8] Ibid., 15

أُحرقت جثتها على خشب الصندل، وأقيم لها حفل جنازة وشعائر باهظة، كأنهم أرادوا إخفاء ظلمهم خلف المظاهر. بعد موتها، كتب العريس إلى أبيه يطلب إرسال زوجته إليه، فجاءه جواب والدته بأن عليه العودة سريعًا لأنها اختارت له عروسًا جديدة... بائنتها عشرين ألف روبية نقدًا.

التحليل النقدي لقصة "الدَّين والمستحق"

1. البعد الاجتماعي: نقد نظام البائنة

تقوم القصة في جوهرها على إدانة نظام البائنة هو الذي يحوّل الزواج – باعتباره علاقة إنسانية – إلى صفقة تجارية. يُظهر طاغور كيف يغدو المال معيارًا لقيمة المرأة، وكيف تُصبح العروس "دينًا" لا "إنسانًا" في نظر أسرة الزوج.

من خلال نروباما، يفضح الكاتب هذا النظام القاسي الذي يُخضع الأب للذل والمهانة، ويُحوّل الابنة إلى ضحية صامتة، ويحوّل الزواج إلى سوق مزايدات تُرفع فيه "أسعار الأزواج". القصة بهذا تكشف عن خلل اجتماعي عميق ما زالت جذوره ممتدة في بنى المجتمع.

2. الصراع الطبقي ومرض الوجاهة

يمثل رامسوندَر نموذجًا للأب من الطبقة المتوسطة، الذي تدفعه رغبته أن يزوج ابنته نروباما مع فتى من أسرة ثرية لكي تعيش مع زوجه حياة سعيدة.

أما أسرة زوج نروباما تنتمي إلى الطبقة العالية، تلوم والد نروباما رامسوندَر وتوبخه ولا تسمح لزيارة ابنته لعدم سداد إبانة.

وظلّت قاسية على نروباما حتى اللحظة الأخيرة، لا تظهر عليها شيئا من الإنسانية، بينما أقيمت بعد موتها مراسيم فخمة لا لشيء سوى الحفاظ على "مكانة العائلة".

ويضع طاغور إصبعه على جرحٍ مألوف من خلال أسرتين متناقضتين: رامسوندَر الحنون الصادق، ورأي بهادر وزوجته القاسيان الجشعان. يكشف طاغور الفجوة الأخلاقية بين الطبقتين.

3. الشخصية رامسوندَر

رامسوندَر هو الذي يخلق مأساته بنفسه. خطؤه الأخلاقي ليس سوءًا، بل المبالغة في الحبّ. حبّه يدفعه لوعدٍ أكبر من طاقته، فيقوده هذا الوعد إلى سلسلة من المهانة، والخوف، والتضحية المؤلمة، حتى ينتهي إلى تدمير حياته وحياة ابنته دون قصد. إنه نموذج للأب الذي يخسر كل شيء لأنه أحب ابنته أكثر مما يسمح به واقعه.

4. نروباما: الضحية الصامتة

تُبنى شخصية نروباما على السكوت أكثر من الكلام. وصمتها هو أكبر سلاح نقدي عند طاغور: فالفتاة لا تشكو، لأن المجتمع يُسكتها أصلًا. هي: رمز لآلاف الفتيات اللواتي تسحقهن الإبانة، ومرآة لظلم اجتماعي ممنهج، وجسد ضعيف يتمزق تحت وطأة البخل والقسوة والإذلال. موتها في النهاية ليس حدثًا، بل صرخة احتجاج ضد مجتمعٍ يقتل نساءه ببطء.

5. العائلة كمنظومة قمع

يصوّر طاغور بيت الزوج ليس كبيت، بل ک منظومة قمع اجتماعي: منع رؤية الأب، ومنع زيارة بيت أبيها، وتذكير مستمر بأنها "أقل قيمة" لأنها لم تجلب إبانة كافية، واعتبارها عبئًا بدلًا من اعتبارها كائنًا إنسانيًا. بهذا يصبح البيت رمزًا لمجتمع يُعاقب الفتاة على فقر أبيها. ومُنعت من زيارة بيتها، وتعرضت للإذلال اليومي من حماتها التي كانت لا تفوّت فرصة لتذكيرها بأن "لو كان أبوك دفع الإبانة كاملة لكنتِ موضع الرعاية في هذا البيت".

6. البنية الفنية: الو اقعية الأخلاقية

القصة تنتمي إلى الواقعية الاجتماعية الأخلاقية: لا تعتمد على الرمزية، ولا على الخيال، بل على وقائع مؤلمة من الحياة اليومية. الفن هنا يخدم الحقيقة: حقيقة الفقر، وظلم العادات، ووجع الأب، وصمت المرأة. تقدّم القصة دراما خفيفة المظهر شديدة العمق، حيث تتراكم التفاصيل الصغيرة (نظرة، كلمة، رفض، إذلال) حتى تنفجر بالموت.

7. دلالة النهاية: استمرار المأساة

النهاية واحدة من أقوى نهايات طاغور: ماتت نيروباما، ولكن العادة لم تمت. بل ارتفع "سعر العريس" بعد موتها! إنها نهاية تحمل: سخرية سوداء، ونقدًا مريرًا، وإشارة إلى أن الضحايا يتغيرون، لكن النظام باقٍ.

الخلاصة النقدية

قصة "الدَّين والمستحق" ليست حكاية مأساة فردية، بل وثيقة احتجاج اجتماعي. تكشف القصة هشاشة الإنسان أمام السلطة العمياء للتقاليد، وتضع البائنة في موضعها الحقيقي: ليس "إكرامًا" بل أداة للقمع.

يمتاز طاغور بقدرته على تحويل قضية اجتماعية إلى عمل فني نابض بالحياة، يجمع بين عمق التحليل، وصدق العاطفة، وجمال البناء الدرامي.

القصة واحدة من أجمل ما كتب طاغور في فضح الظلم الاجتماعي الممنهج ضد المرأة، وتجعل من رامسوندَر ونيروباما صوتين خالدين لآلاف الآباء والبنات اللاتي ابتلعتهن العادات القاسية.

من المسؤول عن مأساة نيربما؟

يقوم البناء الفني لقصة رابندرانات طاغور "الدين والمستحق" على فضح النظام الاجتماعي للبائنة وما يخلّفه من مآسٍ إنسانية، ويتمثل ذلك في المصير المروّع للفتاة نروباما التي تتحطم حياتها تحت وطأة هذه العادة. ورغم أنّ جزءًا كبيرًا من القصة يصوّر ألم الأب ومعاناته، فإنّ البؤرة الحقيقية للنص هي الانتهاء المأساوي لنروباما. وهذا المصير تتحمله عدة شخصيات، بشكل مباشر أو غير مباشر: رامسوندَر، هاراموهون، الراي بهادور، الحماة، الزوج، الخدم، وحتى نروباما نفسها.

1. رامسوندَر— أوّل من وضع اللَّبِنة الخاطئة

رامسوندَر رجل بسيط من عامة الناس. وقد جاءته ابنته بعد خمسة أبناء ذكور فكانت موضع حبٍّ وغِبطة. ربّاها برعاية كبيرة، غير أنّه أخطأ حين تجاوز طبقته الاجتماعية واختار مصاهرة عائلة أرفع شأنًا، وتعهد بدفع عشرة آلاف روبية بائنة، خلافًا لقدرته. هذا القرار هو النشاز الأول الذي تسلّل إلى إيقاع حياة نروباما.

2. هاراموهون — الأخ الذي تخلّى عن واجبه

لم يكن للأخ هاراموهون دور يُذكَر في زواج أخته، لكنه بعد الزواج لم يبذل أدنى جهد لحلّ مشكلات أختِه في بيت زوجها. وحين همَّ رامسوندَر ببيع بيته لسداد البائنة، ذهب هاراموهون إلى بيت أخته في مشهد مسرحي يمنع والده من دفع المال. هذا التدخل، وإن بدا عاطفيًا، **زاد الأمر سوءًا**، فصار هاراموهون مسؤولًا بشكل غير مباشر عن تدهور أوضاع أخته.

3. راي بهادور— صورة الجشع الطاغي

الراي بهادور رجل ثري، لكنّ حبّه للمال بلا حدود. وفّرت له عادة البائنة فرصة لإشباع هذا الجشع؛ فبمجرد سماعه بقيمة البائنة وافق دون تردّد على زواج ابنه من ابنة رجل فقير كرامسوندَر. ثم مارس الضغط الشديد لتحصيل المبلغ كاملًا، ولم يسمح لنروباما بزيارة والدها ما لم يُسدَّد الدين. فكان أحد الأسباب الأساسية لمعاناتها النفسية.

4. الحماة — رأس الحربة في اضطهاد العروس

تُجسّد الحماة في القصة النموذج الصارخ لاضطهاد العروس. إذ لم تمنح نروباما أي مكانة لعدم سداد البائنة كاملة؛ بل كانت تهينها في كل خطوة، وهي: لم تتحمل سماع المديح لجمالها، وانتقدت طعامها وعاداتها وسلوكها، وعندما مرضت نروباما اتهمتها بالتمارض. هذه الإهانات المتواصلة هدمت نفسية نروباما وقادتها خطوة بعد أخرى نحو الموت.

5. الزوج — صمته أشد إيلامًا من القسوة

كان زوج نروباما في القصة شابًا متعَلّمًا واسعَ الأفق، وتنكشف ملامح شخصيته الواضحة والحازمة منذ لحظة الزواج. ومن خلال رسالته في نهاية القصة ندرك مقدار حبه العميق لزوجته وصدق مشاعره تجاهها. إلا أنّ صمته في الجزء الأوسط من القصة أمام قسوة أهل بيته وتعسّفهم على نروباما يثير الانتباه ويبدو مخجلاً ومناقضًا لصورته المثالية؛ مما يعكس التناقض المأساوي بين وعيه الأخلاقي من جهة، وخضوعه للضغوط العائلية من جهة أخرى.

6. الخدم والخادمات — دور صغير وتأثير خطير

أدّى الخدم والخادمات دورًا سلبيًا حين لاحظوا احتقار الأسرة لنروباما، فلم يُعرُوها أي احترام. وعندما أعادت المال إلى والدها وأبت أن تأخذه، سارعت إحدى الخادمات بنقل الخبر إلى الحماة، فزاد الأمر تعقيدًا وشكّل ذلك شرارة إضافية لسقوطها النفسي.

7. نروباما — ضحية ومذنبة في آن

ومن الجهة الأخرى، لا يمكن إعفاء نيروباما تمامًا من جانب من المسؤولية عن مصيرها المؤلم. فبعد أن أصبحت عروسًا في بيت كبير، لم تُدرِك في البداية حقيقة الضائقة المالية التي كان يعانيها والدها، وظلّت تُلِحّ عليه في أن يأخذها معه، غير شاعرة بما تُضيفه مطالبها المتكررة إلى معاناته. ثم إنها لم تُحسن العناية بنفسها، فتركَت جسدها يذبل تحت وطأة الإهمال والضغوط. وحين سافر زوجها للعمل في الخارج، كان من الواجب أن تُمسِكَ بزمام ذاتها، لا أن تترك اليأس يتسرّب إليها بهذا القدر من اللامبالاة. وهكذا، تتداخل هشاشتها الذاتية مع قسوة المجتمع لتصنع في النهاية مأساتها الخاصة.

8. البائنة — الجاني الأكبر

تبقى البائنة هي المسؤول الأول عن المأساة. فبفضل الدعم الاجتماعي لهذه العادة لم ينظر أحد إلى الضغوط والابتزاز بوصفهما ظلمًا. وعلى هذا الطريق من القهر والإهمال انتهت حياة نروباما.

وقد نجح طاغور، ببراعة فنية عالية، في بناء قصة تُدين المجتمع وتفضح قبح البائنة، لتتحول "الدَّيْن والمُستحقّ" إلى صرخة أدبية وإنسانية ضد هذه العادة المدمّرة.

أهمية عنوان القصة "الدَّيْن والمستحقّ"

يولي رابندرانات طاغور عناية كبيرة لاختيار العناوين، لأنها ليست مجرد تسمية سطحية، بل مدخلٌ دلالي يفتح آفاقًا واسعة للمعنى ويعمّق الإيحاء الفني. وفي قصة "الدَّيْن والمستحقّ" يظهر هذا البعد الإيحائي بجلاء؛ فالعنوان ذاته يشكّل مفتاحًا لمأساة الشخصيات، ويختصر في كلمتين صراعًا اجتماعيًا مريرًا بين الدَّيْن والاستحقاق.

في قصة "الدين والمستحقّ" يضع رابندرانات طاغور أهمية كبيرة لاختيار العنوان، لأنّه يكشف عن الفكرة الأساسية التي تمتد في كل تفاصيل القصة. فوالد نروباما، رامسوندَر، أراد أن يضمن السعادة لابنته، فوعد رايهَادور بدفع عشرة آلاف روبية بائنة لابنه، من غير أن يفكّر في قدرته الحقيقية. وهكذا وقع في خطأ كبير كلّف الأسرة ثمنًا فادحًا.

فالبائنة تقليد اجتماعي قاسٍ، كم دمّر من أسر فقيرة حاولت أن تساير المجتمع فأنفقت فوق طاقتها حتى انهارت. ومع ذلك لم يرفض المجتمع هذه العادة ولم يعترض عليها بجدية، فبقيت راسخة، تتبدل أشكالها لكنّ جوهرها واحد. وقد يظهر هنا وهناك من يعترض أو يتعاطف، لكن أيّ تغيير فعلي لم يحدث.

وقد كان الناس يلقون اللوم على نظام الكولينيّة، ويعتبرون الإبانة نتيجة سيئة له، لكن الحقيقة أن ضحايا الإبانة ما زالوا كثرًا حتى اليوم من الفتيات والآباء والأمهات. وطاغور رأى بوضوح كيف يُظهر المجتمع المتعلّم وجهه الجشع؛ فالرجل الذي يتزوج امرأة يعتقد أن من حقه أن يأخذ كل ما يملكه والدها، كأنه ملكية خاصة له.

أمّا خطأ رامسوندَر فكان أنه زوّج ابنته دون أن ينظر في وضعه المالي. ونتيجة ذلك عاش حياته مثقلًا بـ"دين" وعده. تعرض للإهانة يوم الزفاف أمام والد العريس، ثم ظل يعاني الإذلال كلما ذهب لزيارة ابنته. ونروباما نفسها لم تجد احترامًا في بيت زوجها؛ فقد واجهت إهانة مستمرة من الجميع، حتى الخدم لم يعترفوا بقيمتها. وهكذا ظهرت في القصة صورة موجعة لـ «الدَّين» الذي أصبح عبئًا يقود الأب والابنة إلى مصير مؤلم.

أما "المستحقّ" الذي يقابل هذا الدين؟ فقد أراد رامسوندَر أن يجعل ابنته سيّدة في بيت واسع، لكنه لم يفكر في أحد سواها. وكانت النتيجة أن ابنته عاشت قهرًا متواصلًا وانتهى بها الأمر إلى موت محزن، بعدما عجزت عن احتمال الإهانة والعذاب. وهذا هو "المستحقّ" الذي عاد إلى الأب في النهاية بصورة مأساوية.

وفي نهاية القصة، يشير طاغور إلى أن جشع أسرة رايبَادور لم يتوقف؛ فالابن الذي كان عاطلًا أصبح الآن نائبًا، وارتفع معه مقدار الطمع: "هذه المرة عشرون ألف روبية إبانة، تُدفع فورًا" [9].

وبذلك يتضح أن القصة، من بدايتها حتى نهايتها، تدور حول فكرتين مترابطتين: الدَّين وما يقابله رامسندر. ولهذا كان عنوان "الدين والمستحقّ" عنوانًا موفّقًا يعبر بوضوح وبطريقة إيحائية عن جوهر القصة.

التحليل الأدبي:

تمثّل القصة عرضًا دقيقًا لمأساة نروباما التي دفعها نظام البائنة إلى حياةٍ قاسية انتهت بتراجيد إنساني واجتماعي. وتكشف في الوقت نفسه عن ملامح الظلم الاجتماعي واضطهاد المرأة، لتُطلق من خلال أحداثها نداءً صريحًا إلى الإنسانية والعدالة.

تبدو البطلة في القصة ضحيةً صريحةً لنظام البائنة، غير أنّ ما يلفت النظر هو أنّ طاغور لا يقف طويلًا عند المشكلة الاجتماعية في بعدها الخارجي، بل يتجاوزها ليُمسِكَ بجوهر المأساة الإنسانية الكامن في الألم نفسه. فقد آثر أن يجعل من الوجع الداخلي محورًا للعمل، لأن هذا الوجع — بما يحمله من صدق وتجريد — قادر على عبور الزمن والوصول إلى قارئ كل عصر. وهنا تحديدًا يتجلّى مقصد الأدب الأسمى: تحويل المعاناة الفردية إلى تجربة إنسانية عامة تُحرّك الوجدان وتبقى حيّة عبر الأجيال.

الخاتمة

[9] Ibid., 18.

إن قصة "الدَّيْن والمُستحقّ" ليست مجرد حكاية عن فتاة واجهت ظلم حماتها أو ضعف والدها؛ بل هي مرآة لواقع اجتماعي معقَّد يتشابك فيه الفقرُ بالعادات، والهيبةُ بالجشع، والواجبُ الأخلاقي بقوانين طبقية لا ترحم. وقد نجح طاغور، بحدسٍ فني وقدرة سردية فريدة، في تحويل قضية اجتماعية مُغرِقة في المحلية إلى نص إنساني عالمي يفضح البنية العمياء التي تجعل من المال معيارًا للكرامة.

تظهر نروباما في نهاية المطاف بوصفها رمزًا للمرأة التي تُدفَع إلى حتفها باسم "العرف" و"المكانة"، ويغدو موتُها ليس نهاية مأساة فردية، بل إعلانًا صارخًا عن فشل منظومة اجتماعية كاملة. ورغم أن الشخصيات جميعًا تسهم بنسب متفاوتة في سقوطها، فإن الجاني الأكبر يبقى نظام البائنة ذاته، بما يحمله من قسوة وإذلال.

تؤكد القصة، كما يؤكد هذا البحث، أن مقاومة الظلم الاجتماعي تبدأ بفهم جذوره الثقافية، وأن الإبداع الأدبي قادرٌ —حين يُصاغ بعمق وصدق— على إحداث أثر يتجاوز الفن إلى الوعي والواقع. وهكذا تظل "الدَّيْن والمُستحقّ" واحدة من أعمق صرخات طاغور ضد التقاليد الجائرة، ونصًا مفتوحًا على قراءات جديدة تعيد مساءلة علاقتنا بالعُرف والإنسان والعدالة.

References:

1. Tagore, Rabindranath. Golpoguchho. (Kolkata: Visvabharati).

2. Mishra, Dr, Ashok Kumar. (Kolkata: Dey's Publishing)

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)